

خطبة الجمعة - الخطبة ٤٨٩ : خ ١ - وعشرونهن بالمعروف ، خ ٢ - العين .
لضييلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-٠٧-٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنُهتَّدِي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي ،
ولا اعتصامي ، ولا توكلَّي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً
برُّوبِيَّته ، وإرغاماً لمن جد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلَّى الله عليه وسلم رسول الله ،
سيدُ الْخَلْقِ وَالْبَشَرِ مَا اتَّصَّلَتْ عَيْنُ بَنِظَرٍ ، وَمَا سَمِعْتُ أَذْنَ بَخْرٍ . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ ، وَعَلَى ذَرِيَّتِهِ وَمِنْ وَالَّاهِ مَنْ تَبَعَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . اللَّهُمَّ
ارْحُمْنَا فَإِنَّكَ بَنَا رَاحِمٌ ، وَلَا تَعذِّبْنَا فَإِنَّكَ عَلَيْنَا قَادِرٌ ، وَالْطَّفْلُ بَنَا فِيمَا جَرَّتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ ، إِنَّكَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، اللَّهُمَّ عَلِمْنَا مَا يَنْفَعُنَا وَانْفَعْنَا بِمَا عَلِمْنَا وَزَدْنَا عَلَيْهَا ، وَأَرْنَا الْحَقَّ حَقًا وَارْزَقْنَا
اتِّبَاعَهُ ، وَأَرْنَا الْبَاطِلَ باطِلًا وَارْزَقْنَا اجْتِنَابَهُ ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ،
وَأَدْخِلْنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ .

من علامات إيمان المؤمن رحمته بأهله :

أيها الأخوة الكرام ؛ لازلنا في موضوع الكبائر ، ولا سيما تلك الكبائر التي يظنها الناس صغائر
وهي كبائر ، فالكبائر عند عامة المسلمين هي القتل ، والزنا ، وشرب الخمر ، والسرقة ،
والإشراك بالله ، وما إلى ذلك ، وقد يغيب عن المسلم أن الاستطالة على الزوجة ظلماً من الكبائر
، بل هي من أكبر الكبائر ، الله جل جلاله يقول :
**﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾**

[سورة الروم: ٢١]

يا أيها الأخوة الكرام ؛ الأصل في العلاقة الزوجية أن يسكن الزوج إلى زوجته ، والأصل في
العلاقة الزوجية المودة والرحمة بينهما ، فمن لم يكن في بيته كذلك فهو على خلاف ما أراد الله ،
فمن لم يكن في بيته كذلك فهو على خلاف الفطرة البشرية ، فمن لم يكن في بيته كذلك فهو على
خلاف ما ينبغي أن يكون عليه ، لذلك أيها الأخوة الكرام ؛ أن يصلح الإنسان علاقته بأهله ، وأن
 يجعل بيته سكناً ، وأن يجعل العلاقة بينه وبين أهله قائمةً على المودة والرحمة هو جزءٌ من إيمان
المؤمن ، وجزءٌ من دينه .

أيها الأخوة الكرام ؛ الشيء الذي يلفت النظر أحياناً أن تجد مؤمناً يرتاد المساجد ، ويصلّي في
أول صفّ ، فإذا دخل إلى بيته قسا ، وكان على زوجته قاسيًا إلى درجة لا يصدق أنه يرتاد

بيوت الله ، ويطلب العلم الشرعي ، ويأتمرُ بأمر الله ، لذلك قال العلماء : من ظواهر خلق الرحمة في المؤمن حُسْن معاشرته للنساء أي أهله ، لأنهن بحسب ما فطرن عليه ضعيفات، لذلك أوصى الإسلام بالنساء خيراً ، أمر بإكرامهن ، أمر بالإحسان إليهن ، أمر بالصبر على عوجهن ، أمر برحمتهن ، أمر بالعطف عليهن ، وبعدم ظلمهن ، طريقة معاملة الزوج جزء من دينه ، وتعبير على حجم الإيمان في قلبه ، فكلما ربا الإيمان في قلب المؤمن ازدادت رحمته بالخلق ، وهل أقرب إليه من أهله ؟ فإذا رحم الغريب فالأولى أن يرحم القريب ، إذا رحم الغريب فالأولى أن يرحم شريكة حياته ، فلذلك من علامات إيمان المؤمن رحمته بأهله، من عالمة إيمان المؤمن اتباعه النبي صلى الله عليه وسلم في معاملاته لزوجاته الطاهرات .

الاستطالة على الزوجة ظلماً وتعسفاً هو من أكبر الكبائر :

أيها الأخوة الكرام ؛ لا يخفى عليكم أن سعادة المرأة في بيته أساس سعادته العامة، لأن الصدق شيء بالإنسان بيته ، لذلك الاستطالة على الزوجة ظلماً وتعسفاً هو من أكبر الكبائر ، بل هو من الكبائر التي غابت عن ذهن المسلمين أنها كبيرة ، بل هي من الكبائر التي يُظن أنها من الصغار

أيها الأخوة الكرام ؛ روى الإمام البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، ولا يخفى عليكم أن الحديث الذي يرويه الإمام البخاري ومسلم معًا متفق عليه ، وهو من أعلى درجات الأحاديث : عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإنّ أعرج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبّت تقيّمه كسرتها وإن تركته لم يزل أعرج فاستوصوا بالنساء))

[البخاري عن أبي هريرة]

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة قال :

((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيّمه كسرتها وكسرها طلاقها))

[مسلم عن أبي هريرة]

الزوج وزوجته متكاملان وليسوا متطابقين :

أيها الأخوة الكرام ؛ لا بد من وقفه متأنياً عند هذا الحديث ، الضلع في اللغة هو العوج ، وقد يغيب عن الرجل أن خصائص المرأة غير خصائص الرجل ، إن خصائص المرأة النفسية ، والجسمية ، والاجتماعية ، والفكريّة غير خصائص الرجل النفسية ، والجسمية ، والاجتماعية ، والفكريّة ، وأن الزوج وزوجته متكاملان وليسوا متطابقين ، ألا ترون إلى قوله تعالى :

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجْلَى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾

[سورة الليل : ٤-١]

ألا يلفتُ النّظر أنّه ما العلاقة بين الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى؟ وبين الذّكر والأُنثى؟ كما أنّ النّهار جعله الله ضياءً، ولِكَسْبِ الرِّزْقِ ، جعل الليل لباساً ، وجعله سكينةً ، وجعله للراحة والسكون ، كذلك الرجل له دورٌ يتميّز عن دور المرأة ، الدّوران متكاملان وليسوا متطابقين ، هذه التي جاءت تشكو إلى النبي صلّى الله عليه وسلم زوجها ، قالت : يا رسول الله إنّ فلاناً تزوّجني وأنا شابة ذات أهل ومال وجمال ، فلما كبرت سنّي ، ونشّر بطنّي ، وذهب مالي ، وتفرق أهلي قال : أنتِ على كَظْهَرِ أُمِّي ،ولي منه أولاد ، إن ترکتُهم إِلَيْهِ ضاعوا ، وإنْ ضَمَّمْتُهُمْ إِلَيْهِ جاعوا ، هذه المرأة التي شكت إلى النبي زوجها ووضحت بشكلٍ يليق بدورها لا تتناسبُ فيه المرأة ، وأنّ للمرأة دوراً لا ينافسها فيه الرجل ، إنَّ لِكَسْبِ الرِّزْقِ ، وللعلاقات العامة ، وللعمل خارج البيت ، وإنَّها لِتَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ ، ولِكِونِ الْبَيْتِ سَكَناً لِلزَّوْجِ ، حينما يظنُ الزوج أنَّ المرأة ينبغي أن تكون على شاكلته فقد وقع في وهمٍ كبيرٍ .

أيها الأخوة الكرام ؛ الضلّع هو العوج ، وهذا الضلّع الذي في الصدرِ كم يكون مؤذياً ومُحرجاً لو كان مستقيماً ؟ إنَّ كماله في عوجِه ، والعوج يعني الانعطاف ، والانعطاف يعني العطف ، فبشكلٍ أو باخر الحديث يُشير إلى أنه ما زاد من قوّة إدراك الرجل ، وما زاد من اهتمامه بالقضايا العامة ، وما قلَّ من انفعاله واهتمامه بالقضايا الجزئية كمالٌ في الرجل ، وما نقصَ من قوّة إدراك المرأة ، واهتمامها بالقضايا العامة ، وما زاد من عاطفتها ، وانحنتها على أولادها ، واهتمامها بالدقائق والتفصيات هو كمالٌ فيها ، و كنتُ أضربُ على هذا المعنى مثلاً رائعاً وهو أنَّ السيارة التي أُعدَّتْ لِنَقلِ البضاعة ، ما زاد في المكان المخصص لِنَقلِ البضاعة ، وما قلَّ في المكان المخصص لِنَقلِ الركاب كمالٌ فيها ، أما السيارة التي أُعدَّتْ لِنَقلِ الركاب فما زاد في المساحة المخصصة لِنَقلِ الركاب كمالٌ فيها ، فربنا سبحانه وتعالى حينما قال :

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى ﴾

[سورة آل عمران : ٣٦]

هو الخالق ، وهو المُصْمِّم ، وهو الفاطر ، وهو الذي خلق الرجل ، وإذا قلتُ الرجل فإني أعني جنس الرجال ، لأنَّ هناك فروقاً فرديةً على مستوى الأفراد تتفوق المرأة على الرجل في نواحي كثيرة ، ولكن إذا قلت المرأة والرجل أعني جنس الرجال ، وجنس النساء .

أيها الأخوة الكرام ؛ إنَّ الرجل الذي يطمح أن تكون امرأته على شاكلته هو لا يعرفحقيقة المرأة ، وإنَّ المرأة التي تطمح أن يكون زوجها على شاكلتها لا تعرفحقيقة الرجل ، إنَّهما متكاملان متعاونان ، كلَّ منها ينجحُ فيما خلق له ، فإذا تبادلت المواقع ، وبذلنا المواقع والمهمات وقعنا في فسادٍ كبيرٍ .

مساواة المرأة للرجل في التكاليف والتشريف والمسؤولية :

أيها الأخوة الكرام ؛ من الثابت أنَّ المرأة كالرجل في التكليف والتشريف والمسؤولية، ومن الثابت أيضاً أنها تمتاز بطبعات جسمية ونفسية واجتماعية وفكريَّة تتميَّز بها عن الرجل ، وأنَّ الرجل يتميَّز بطبعات جسمية ونفسية واجتماعية وفكريَّة يتميَّز بها عن المرأة ، وهذا مصدق قوله تعالى :

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالنِّسَاءِ﴾

[سورة آل عمران : ٣٦]

فيا أيها الأخوة الأكارم النبي عليه الصلاة والسلام يقول : عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استوصوا بالنساء فإنَّ المرأة خلقت من ضلع وإنَّ أعوج شيء في الصُّلُع أعلاه ، فإنْ ذهبت تقيمه كسرته ، وإنْ تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء))

[البخاري عن أبي هريرة]

اهتمامها الشديد بالجزئيات والتفاصيل ، وتعلقها الشديد بأولادها ، واهتمامها بزيتها هو مما يكمِّل حياة الرجل ، فهذا ليس عوجاً بالمعنى المطلق ، ولكنه عوج بالمعنى النسبي ، هذا العوج هو كمال فيها ، إنه عوج العطف ، وعوج الاهتمام بأولادها ، إنه عوج الاهتمام بزيتها كي ترضي زوجها ، وهذا هو الأصل ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول : عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

((استوصوا بالنساء فإنَّ المرأة خلقت من ضلع وإنَّ أعوج شيء في الصُّلُع أعلاه))

[البخاري عن أبي هريرة]

لو أنَّ المرأة كما تزيد ، أو تيت حدة في الإدراك ، واهتمامها بالقضايا العامة على حساب بيتها ، واهتمامها بأولادها ، واهتمامها بزيتها ، بالدقائق والجزئيات لما استطعت ان تعيش معها ، إذا وإنَّ أعوج ما فيه أعلاه ، وإنْ تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً .

الشقي من يبحث عن النقائص والعيوب و السعيد من يبحث عن الإيجابيات :

أيها الأخوة الكرام ؛ المؤمن تُكشف له الحقائق ، وتُكشف له حِكْمَ الخلق ، ويعلم الحكمة التي من أجلها خلقت المرأة على هذا النحو ، لذلك يتعاش ويتكمَّل ، ويعندها من حبه ، ومن عطفه ، ومن إكرامه الشيء الكثير ، فيحيى حياة هنيئة سعيدة.

أيها الأخوة الكرام ؛ روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال :

(قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَّ مِنْهَا آخَرَ
أَوْ قَالَ غَيْرَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

الحديث الأول يؤكّد لنا أنّ صفات النساء والرجال متكاملة ، وليسَت متطابقة ، وهذا يعين على حُسن العشرة بين الزوجين ، أما الحديث الثاني فإنه يبيّن أنه ولو وجدت في أمرائك نصاً ، أو وجدت فيها عيباً ، أو وجدت فيها قصوراً ، أو وجدت فيها إهالاً ، انطلاقاً من النّظرة الموضوعية ، وانطلاقاً من الإنفاق ، لا ينبغي أن تغفل عن ميزاتها ، عليك أن تسجل الإيجابيات والسلبيات ، لذلك الشقيّ من يبحث عن النّفائض والعيوب ، ويكرّها حتى تسحقه ، لكنّ السعيد في الحياة هو الذي يبحث عن الإيجابيات في كلّ شيء حتى في زوجته ، لا يفرّك مؤمنٌ مؤمنة ؛ أي لا يكره مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر ، فالإنسان في ثورة الغضب ، وفي شدة الكراهة عليه أن يذكر الإيجابيات ، عليه أن يذكر عفّتها ، عليه أن يذكر استقامتها ، عليه أن يذكر تديّنها ، وحسن إدارتها للبيت ، عليه أن يذكر الإيجابيات فإذا ذكرها بإنصاف ثم ذكر السلبيات ربّما رآها ليست بشيء ، أما هذا الذي لا ينظر إلا للعيوب ، ولا ينظر إلا إلى النّقص ، يتغافل عن الإيجابيات ويزّر السلبيات ، هذا إنسان شرير ، والنبي عليه الصلاة والسلام بشكّلٍ أو بأخر ، دعا فقال :

((تعوذوا بالله من ثلات فواقر : جار سوء إن رأى خيراً كتمه ، وإن رأى شرّاً أذاعه؛ وزوجة سوء إن دخلت عليها لستك ، وإن غبت عنها خانتك ؛ وإمام سوء إن أحسنت لم يقبل ، وإن
أسأت لم يغفر))

[البيهقي عن أبي هريرة]

اللهمّ إني أعوذ منك من إمام سوء إن أسأت لم يقبل ، وإن أحسنت لم يقبل ! يُقاسُ على هذين الدعائين أنّ الرجل إن رأى خيراً كتمه ، وإن رأى شرّاً أذاعه ؛ هذا زوج سوء ، أو أنّ الرجل إن أحسنت إليه امرأته لم يقبل ، وإن أساءت لم يغفر ، هذا قرین سوء ، فيما إليها الأخوة الكرام ؛ أوكد على هذه الناحية أنّ جزءاً كبيراً من دينك ، وجزءاً كبيراً من إيمانك يظهر في طريقة معاملتك لأهلك .

الحديث الثاني الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن أبي هريرة قال :

(قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَقْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةٌ إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَّ مِنْهَا آخَرَ
أَوْ قَالَ غَيْرَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

الموازنة بين الإيجابيات والسلبيات :

أيها الأخوة الكرام ؛ العقل سلطان ، الإنسان أحياناً يتحرك وفق نزواته ، أو وفق غضبه ، أو وفق توتره النفسي ، دون أن يجعل لعقله حكماً أو سلطاناً ، فإذا رأى نقيبة كبرت عليه ، وأقام النكير ، وأرغى وأربد ، وربما طلق امرأته بسبب تافه ، ثم يكون الندم الشديد ، عن أبي هريرة قال :

((قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يُفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَّ مِنْهَا أَخْرَى أَوْ قَالَ غَيْرُهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

اجعل موازنةً بين الإيجابيات والسلبيات .

أيها الأخوة الكرام ؛ وفي خطبة حجّة الوداع ، وهي الخطبة الحاسمة التي رسمت لل المسلمين منهج حياتهم خصّ النبي صلى الله عليه وسلم جزءاً من خطبته للتوصية بالنساء ، فقال عليه الصلاة والسلام في خطبة حجّة الوداع :

((أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ،
فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ))

جمع مفرد عانية ، والعانية مؤنث عاني ، والعاني هو الأسير عندكم ، لذلك قال بعض الصحابة: الزواج رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمه .

مقياس الخلق الكريم لا ما تفعله بين الناس بل ما تفعله في البيت :

أيها الأخوة الكرام ؛ هناك حديث رابع وهو من الأهمية في مكان ، ذلك أنّ الإنسان في الأعم الأغلب يتصرف خارج البيت بذكاء ، وتخطيط ، حفاظاً على مكانته ، وعلى سمعته ، وعلى شخصيته ، وعلى ما ي قوله الناس في غيبته ، هذا من خصائص الإنسان ، يُدافع عن مكانته بذكاء تصرفاته ، ولكن المأثور ، وفي الأعم الأغلب ، إذا دخل بيته يتصرف على سجيته من دون تكالّف ، لذلك عَدَ النبي صلى الله عليه وسلم مقياس الخلق الكريم لا ما تفعله بين الناس بل ما تفعله في البيت ، الإنسان خارج البيت يتصرف بوعي ، وبإدراك ، وبِتخطيط ساعياً للحفاظ على مكانته ، أو لرفع شأن ذاته بين الناس ، فيُبدي من التسامح والحلم ، والطيب والعطف ، والرحمة ما لا سبيل إلى وصفه ، وهو في الحقيقة يبحث عن تأكيد ذاته ، وعن رفع شأنها بين الناس ، ولكنه في الأعم الأغلب أنّ الإنسان إذا دخل بيته تصرف على سجيته على عفو الخاطر من دون تخطيط ، ومن دون تركيز ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام الذي أُوتى جوامع الكلم ، والذي لا ينطق عن الهوى ، يقول :

((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخَيْرُكُمْ خَيْرًا لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا))

[الترمذني عن أبي هريرة]

وفي تعليق قصير على قول النبي عليه الصلاة والسلام ، أنَّ الله سبحانه وتعالى حينما مدح النبي عليه الصلاة والسلام ، خالق الكون يمدح نبيه ورسوله ؛ المخلوق الأول ، ما مدحه بأنَّه خطيب ، ولا بأنَّه عالم ، ولا بأنَّه مفتىٰ ، ولا بأنَّه مجتهد ، ولا بأنَّه فائد ، ولا بأنَّه زعيم ، ولا بأنَّه قائد حربي ، ولا بأنَّه زعيم سياسي ، ولكن قال تعالى :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[سورة القلم : ٤]

فالإيمان بالتعريف الجامع المانع حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ ذَهَبَ بِالْخَيْرِ كُلَّهِ ، لِذَلِكَ يَقُولُ عَلَيْهِ الصلاة والسلام : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :

((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخَيْرُكُمْ خَيْرًا لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا))

[الترمذني عن أبي هريرة]

استسلام المؤمن لحظوظه في الدنيا :

أيها الأخوة الكرام ؛ لعلَّ النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الأحاديث الجامعة المانعة ينطلق من قوله تعالى :

﴿وَعَاشُرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

[سورة النساء : ١٩]

أيها الأخوة الكرام ؛ آيةٌ في القرآن الكريم ، والله لو لم يكن في هذا الكتاب الكريم إلا هذه الآية لكتَّ المؤمنين ، هذه الآية هي التي ترضي الإنسان بقضاء الله ، وهي التي ترضي بِقِسْمِتِهِ من الله ، قال تعالى :

﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة : ٢١٦]

فالمؤمن في ضوء هذه الآية يستسلم لحظوظه من الدنيا ، فهذه المرأة حظها من الدنيا ، وهو لاء الأولاد حظها من الدنيا ، وهذه الحرفة حظها من الدنيا ، وهذا المستوى الذي وصل إليه حظه من الدنيا ، وكما قال الإمام الغزالى في إحياءه : "ليس في الإمكان أبدع مما كان" وقد فسرها بعضهم أنه ليس في إمكانى أبدع مما أعطاني ، أيَّ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لِحِكْمَةٍ وَلِعِدْلٍ وَلِرَحْمَةٍ اختار لك هذه الزوجة ، وتلك الحرفة ، وهو لاء الأولاد ، وهذا المستوى المعاشى ، فينبغي أن ترى حكمة الله ، وأن ترضى بقضاء الله ، وقد ذكرت لكم من قبل أنَّ امرأً يطوف حول البيت ويقول : يا رب هل أنت راضٍ عنِّي ؟ فإذا بالإمام الشافعى يمشي خلفه ويسمع قوله، فقال : يا هذا ، وهل أنت راضٍ عن الله حتى يرضى عنك ؟ فقال هذا الرجل : من أنت يرحمك؟ فقال

الشافعي : أنا محمد بن إدريس ، فقال له : كيف أرضى عنه وأنا أتمنى رضاه ؟ قال الإمام الشافعي : يا هذا إذا كان سُورك بالنّقمة كسرورك بالنّعمة فقد رضيت عن الله تعالى .

توزيع الحظوظ في الدنيا توزيع ابتلاء لا جزاء :

أيها الأخوة الكرام ؛ يجب أن تعلموا علم اليقين أنَّ الحظوظ وُزِّعت في الدنيا توزيع ابتلاء لا توزيع جزاء ، وأنَّ الحظوظ سوف توزَّع في الآخرة توزيع جزاء ، يعني أنَّ الدنيا دار ابتلاء ، ودار تكليف ، ودار امتحان ، فالشيء الذي أعطاك الله إياه هو مادة امتحانك مع الله ، والشيء الذي فاتك هو مادة امتحانك مع الله ، فالامتحان مع الله على شكلين ؛ على شكل إيجابي ، وعلى شكل سلبي ، فالشيء الذي مُنْحَتَه مادة امتحانك مع الله ، والشيء الذي حُرِّمت منه هو أيضًا مادة امتحانك مع الله ، يؤكد هذا دعاء النبي صلي الله عليه وسلم حينما يقول : " اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله عوناً لي فيما أحب ، وما زويت عني ما أحب فاجعله لي فراغاً فيما تحب " فالشيء الذي نلتُه من الله ، إن على مستوى الزوجة ، أو على مستوى الأهل ، أو على مستوى الولد ، أو على مستوى الدخل ، مادة امتحانك مع الله ، والشيء الذي فاتك من الزوجة ، أو الولد ، أو من الأهل ، أو من البيت ، أو من الدخل ، أو من الحرفة ، مادة امتحانك مع الله ، والدنيا دار ابتلاء ، والآخرة دار عطاء ، والدنيا دار تكليف ، والآخرة دار تشريف ، الدنيا دار عمل ، والآخرة دار جزاء ، لذلك المؤمن الحصيف العاقل يُعَوِّلُ على ما في الآخرة من عطاء أبي سرمدي ، ولا يُعَوِّلُ على ما في الدنيا .

معنى المعاشرة بالمعروف :

أردتُ من هذه المقدمة إلى أن أصل إلى أنَّ ليس كلَّ بيتٍ يُبْنِي على الحب ، وما كلَّ زواجٍ يُبْنِي على الحب ، المؤمن ولو لم يكن في قلبه تلك المحبة الجارفة لأهله هو في حقيقته يُكرِّمه ، ويُحْسِن إليهم ، لعلَّ الله سبحانه وتعالى يرضى عنه ، ولعله بهذا الإحسان إلى زوجته يأخذ بيدها إلى الله ، والدنيا فانية .

فيما أيها الأخوة الكرام ؛ الذي يظن أنَّ الدنيا كلَّ شيء ، وأنَّ المرأة هي كلَّ شيء ، وأنَّ سعادته كلَّها في زوجة تروق له ، هذا واهٌ وبعيدٌ عن الصواب .

أيها الأخوة الكرام ؛ لعلَّ الأحاديث الشريفة التي ذكرها صلي الله عليه وسلم تتطلاق من قوله تعالى :

﴿وَعَاشُو هُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة النساء : ١٩]

قال علماء التفسير : معنى المعاشرة بالمعروف إعطاء الزوجة حقوقها ، والإحسان إليها ، والتلطف معها ، وإدخال السرور على قلبها ، والصبر على عوجها ، والإنفاق عليها بالمعروف ، وعدم إيداعها ، وعدم مكارتها ، فليست المعاشرة بالمعروف أن تمت عن إيقاع الأذى بها ، بل أن تحمل الأذى منها .

من سعي لإصلاح ذات بينه أصلح الله له زوجته :

أيها الأخوة الكرام ؛ توضيّح لا بدّ منه ، قول النبي عليه الصلاة والسلام :
((لا يُفْرِكْ مُؤْمِنَةً ، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَّ مِنْهَا آخَرَ))

[مسلم عن أبي هريرة]

بعضهم يرى أن الكراهيّة قد تكون ذُوقيّة ، فالرجل إذا كره من زوجته ضعف دينها ، وضعف إيمانها ، وضعف أمانتها ، وضعف حفظها لنفسها ، هذه كراهة مُحقّ بها ، ولكن قد يكره ذوقاً منها ، بعض ما فيها ، هذه كراهة لا تقدّم ولا تؤخر ، وهذه التي حضنا النبي عليه الصلاة والسلام على مجاوزتها ، ولكن إذا رأيت منها كذباً ، أو ضعفاً في إيمانها ، أو تركاً لصلاتها ، أو تبذلاً في خروجها ، ولم تكره ذلك فأنت لست مؤمناً ، ينبغي أن تكره منها هذه التصرفات ، وينبغي أن تقومها ، وأن تقيّمها .

أيها الأخوة الكرام ؛ المؤمن ينبغي أن يسعى - إن لم يكن متزوجاً - إلى أن يبحث على زوجة صالحة ، ورد في الحديث أنه من تزوج المرأة لجمالها أذلة الله تعالى ، ومن تزوجها لمالها أفقره الله ، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءة ، فعليك بذات الدين تربت يداك .

أما إذا كان متزوجاً فليضع نصب عينيه قوله تعالى :

((وأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ))

[سورة الأنبياء : ٩٠]

فكما سعى الرجل لإصلاح ذات بينه أصلح الله له زوجته ، وقد قال الإمام الشعراوي رحمه الله تعالى : " أنا أعرف مقامي عند ربّي من أخلاق زوجتي ".

أيها الأخوة الكرام ؛ أن يسعد الإنسان في بيته هذا عون له على مواجهة مصاعب الحياة ، أما إذا كانت الجبهة الداخلية منها ، والجبهة الخارجية منها ، فهذا وضع لا يُحتمل ، لذلك أن تكون في بيتك سعيداً ، ومتقاها ، وأن تحرص على إقامة الإسلام في بيتك ، وأن يكون هذا البيت وفق منهج الله ، وشريعة الله ؛ فهذا مما يُسعدك ، ويعينك على تحمل مشاق الحياة .

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنأخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتنمى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلام وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

العين آية من آيات الله الدالة على عظمته :

أيها الأخوة الكرام ؛ من آيات الله الدالة على عظمة الله في خلق الإنسان أن الإنسان خُلِقَ له عينان ، وأذنان ، ولسان واحد ، وفم واحد ، وأنف واحد ، لماذا خُلِقَ له عينان ولم تُخْلِقْ له عينٌ واحدة ؟ ولماذا خُلِقَ له أذنان ولم تُخْلِقْ له أذنٌ واحدة كما هي الحال في الأنف واللسان والفم ؟ أيها الأخوة ، إن العينين تُحقِّقان معاً رؤيَةً مُجَسَّمةً ، العين الواحدة - ولها تفصيلٌ طويلاً يدرسُه طلاب كلية الطب - تُدرك بعدين فقط طولٌ وعرض ، لكن العينين معاً تُدركان معاً الشيء مع بعده الثالث وهو العُمق ، لذلك المسافات التي أمامك لا تُدركها إلا بالعينين ، أما المسافات التي تُعرَضُ العين فتُدرك بعينٍ واحدة ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

﴿أَلمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾

[سورة البلد : ٨]

إنك لن تستطيع أن تصفع الخيط في الإبرة إلا بعينين ، بعينٍ واحدٍ قد يكون بين الخيط والإبرة عشرة ميلمترات ، ولا تحكم إدخال الخيط في الإبرة ، ولكن بالعينين معاً تُدرك هذا بعد الثالث وهو العمق ، لذلك لا تُبَدِّل الصُّورَ مُجَسَّمةً إلا بالعينين معاً ، أما الأذنان فكما تعلمون أن تقاضل وصول الصوتين إلى الأذنين ، هناك جهاز في الدماغ يحسب هذا التقاضل ، ومن معرفة التقاضل يكتشف الدماغ جهة الصوت ، أنت إذا كنت تمشي في الطريق ، وسمعت بوق سيارة من ورائك كيف تعرف جهة السيارة إلا من الأذنين ؟ لذلك قال تعالى :

﴿أَلمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾

[سورة البلد : ٨]

أي عينان يرى بهما الأشياء ، ويرى بهما بعد الثالث للأشياء ، وأذنان يسمع بهما الأصوات ، وتقاضل وصول الصوت إليهما هو جهة الصوت ، وهذا من فضل الله على الإنسان ، وكما أقول لكم أيها الأخوة إن الكون بما فيه من آيات دالة على عظمته ، هو أقصر طريق إلى الله ، وأوسع باب تدخلون على الله منه .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ،

ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعبنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحبتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادنا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودنيانا التي فيها معاشرنا ، وأصلاح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك . اللهم لا تؤمننا مكرك ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تتسبنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن رواعتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخيماً وسائراً بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عصال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبذلها بالإقتار ، فنسأله شرّ خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وندم من منع ، وأنت من فوقهمولي العطاء ، وبيديك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيدهم ولا تهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين